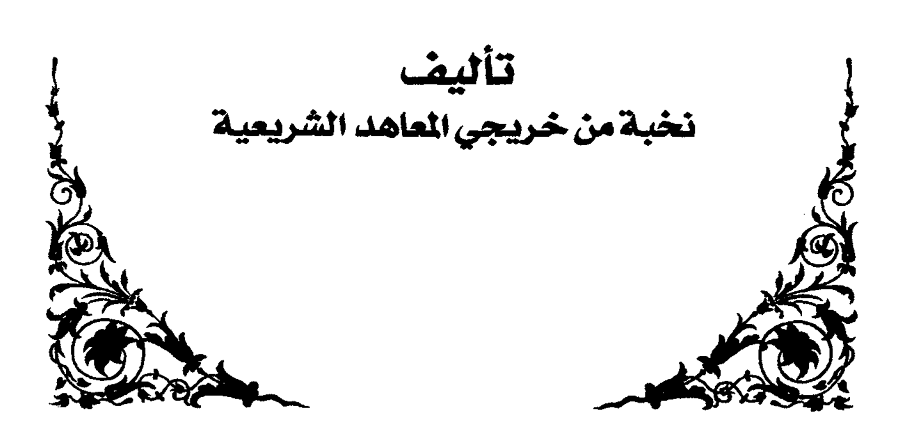


المقالات الطرابلسية

في تنزيه الله عن المكان والجهة والكيفية



تأليف

نخبة من خريجي المعاهد الشريعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد أشرف المرسلين. أمّا بعد:

قال الشيخ حسين الجسر رحمه الله في كتابه الحصون الحميدية:

اعلم أنّ علم التوحيد هو علم يُبحث فيه عن إثبات العقائد الدينية بالأدلّة اليقينية وثمرته هي معرفة صفات الله تعالى ورسله بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الأبدية، وهو أصل العلوم الدينية وأفضلها، وقد جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام من لدن سيّدنا ءادم إلى سيّدنا محمّد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

ولكن لمّا كان الشيخ أبو منصور الماتريدي والشيخ أبو الحسن الأشعري أشهر مَن دوّن كتب هذا العلم وأقام الأدلّة والبراهين على ردّ ما قاله المخالفون شاع أنّهما الواضعان له. ويفترض تعلّمه على كلّ مكلّف من ذكر وأنثى ولو بأدلّة إجمالية. اهـ.

وقد اعتنى العلماء من السلف والخلف بهذا العلم تدريسًا وتحفيظًا وتفهيمًا وأولوه اهتمامًا كبيرًا وألّفوا فيه المؤلّفات والرسائل وعقدوا لذلك المجالس وناظروا أهل البدع وكشفوا فساد معتقداتهم وردّوا شبههم وتمويهاتهم.

واقتداء بهؤلاء الأعلام درج علماء طرابلس الشام على تعليم

أبناء مدينتهم العقيدة الحقّة وتأليف الرسائل في إرشادهم إليها وردّ تمويهات المنحرفين حفظًا لعقائد شبّان هذه الأمّة من الوقوع في الزيغ والضلال.

ومن أكثر ما اعتنوا به جزاهم الله خيراً مسئلة تنزيه الله عن المكان والجهة، لأنها أصلٌ عظيم من أصول الدين وهي عقيدة كل المسلمين، فقد اتفق المسلمون عامّة سلفهم وخلفهم على أنّ الله تعالى لا يحلّ في مكان أو جهة ولا يحويه مكان أو جهة ولا يسكن السماء، ولا يسكن العرش، لأنّ الله تعالى موجود قبل العرش وقبل السماء وقبل المكان والجهة، ويستحيل على الله التغيّر من حال إلى حال ومن صفة إلى صفة أخرى، فهو تبارك وتعالى كان موجودًا في الأزل بلا مكان ولا جهة، وبعد أن خلق المكان والجهة لا يزال موجودًا بلا مكان ولا جهة.

وقد منّ الله علينا فجمعنا في هذا الكتيّب مختارات من أقوال هؤلاء العلماء في تنزيه الله عن المكان والجهة، لتطمئن بها القلوب ويظهر لكلّ طالب هدى أنّ هذه المدينة العريقة بعلمائها وأصالتها كانت ولا تزال على عقيدة رسول الله ﷺ، عقيدة مئات الملايين من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وليظهر أنّ ما خالف هذه العقيدة فهو شاذّ عن عقيدة علماء الحقّ وأئمّة الهدى والله المستعان وهو الهادي إلى الإيمان.

الشيخ أبو المحاسن محمّد بن خليل القاوقجي

(توفي سنة ١٣٠٥هـ)

مسند بلاد الشام في وقته وعلى أسانيده المدار في غالب بلاد الشام ومصر والحجاز.

نشأ يتيمًا في كنف أخواله من ءال الحامدي ومن ثمّ سافر إلى مصر وتابع تحصيله العلمي في أزهرها، وأمضى أكثر من سبع وعشرين سنة يقرأ الفنون ويتلقّى العلوم على جماعة من العلماء المشهورين في مصر وغيرها.

وبعد أن أتمّ التحصيل عاد إلى بلده طرابلس وعكف على التدريس في مساجدها وبخصوص في مسجد الطحّام، إلى جانب الاشتغال بالتأليف.

أولى عنايته لتعليم أبناء مدينته العقيدة الحقّة التي توارثها العلماء عن سلفهم الصالح فوضع عدة رسائل في بيان عقيدة أهل السنّة والجماعة في الله وصفاته ورسله الكرام، منها (كفاية الصبيان فيما يجب من عقائد الإيمان)، و (الاعتماد في الاعتقاد)، و (سفينة النجاة في معرفة الله)، و (بغية الطالبين فيما يجب من أحكام الدين).

وقد ضمّن كتبه تنزيه الله عن المكان والجهة والجسمية فقال رحمه الله في كتابه (الاعتماد في الاعتقاد) ص/ ٥ ما نصّه:

فإذا قال لك أين الله؟ فقل: مع كلّ أحد بعلمه - أي لا بذاته -، وفوق كلّ أحد بقدرته، منزّه عن الجهة والجسمية، فلا يقال: له يمين ولا شمال ولا خلف ولا أمامٌ ولا فوق العرش ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن شماله، ولا داخل في العالم ولا خارج عنه ولا يقال: لا يعلم مكانه إلا هو.

فإذا قال لك: مادليلك على ذلك؟ فقل: لأنّه لوكان له جهة أو هو في جهة لكان متحيّزًا وكلّ متحيّز حادث، والحدوث عليه محالٌ. اهـ.

وقال في كتابه (سفينة النجاة في معرفة الله وأحكام الصلاة) ص/ ٧ ما نصّه:

نعتقد بأنّ ذاته تعالى لا يشبه الذوات ولا صفاته تشبه الصفات ولا أفعاله تشبه الأفعال، ويستحيل عليه المماثلة للحوادث بأن يكون ذاته كالذوات يأخذ مقدارًا من الفراغ، أو يتّصف بالأعراض كالبياض، أو يكون في جهة كالفوق والتحت واليمين والشمال والخلف والأمام، أو يكون جهةً كالأعلى والأسفل، أو يحلّ بمكان أو يُقيّد بزمان، أو يتّصف بالصغر أو بالكبَر أو التوسّط، أو النور - أي الضوء - أو الظلمة. اهـ.

وقال في كتابه (بغية الطالبين فيما يجب من أحكام الدين) ص/ ١٢ ما نصّه:

وأمّا تنزّهه تعالى عن الجهة فللزوم الحدّ في ذاته [1] فالجهات كلّها من توابع الأجسام وإضافاتها، فلو كان تعالى في جهةٍ، أو له تعالى جهةٌ لكان مشابهًا للحوادث وهو باطل.

وأمّا رفع الأيدي عند الدعاء فلأنّ السماء منزل البركات وقِبلة الدعوات، والله فوق كلّ موجود بالقهر والاستيلاء، وهو القاهر فوق عباده وهو اللطيف الخبير.

وأمّا تنزهه عن المكان فلأنّ المكان مخلوق ولازمٌ للتحديد، فالمكان ما استقرّ عليه الجسم لا فيه، والحيّز ما ملأ الجسم، فالمكان والحيّز أمران نسبيّان من لواحق الأجسام وتوابعها، والله تعالى كان ولا زمان ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان، خلق المتمكّن والمكان، وأنشأ الخلق والزمان. اهـ.

(١) مراد المؤلّف أنّ القول بنسبة الجهة إلى الله والعياذ بالله يقتضي ذلك لزوم الحدّ على الله، أي أن يكون محدودًا محصورًا في هذه الجهة وهذا مستحيل على الله عزّ وجلّ. قال الإمام أبو جعفر الطحاوي وهو من رءوس السلف: «تعالى - أي الله - عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات»

وفي ص/ ٣٥ ما نصّه:

فيُرى سبحانه وتعالى لا في مكان ولا جهة من مقابلة أو اتصال شعاع أو ثبوت مسافة بين الرائي وبين الله تعالى. اهـ.

وفي كتابه (البدر المنير على حزب الشاذلي الكبير) ص/ ٢١ يقول ما نصّه:

﴿الرحمـٰـن على العرش استوى﴾ استواءً يليق بجنابه، بدون وصف التمكّن والاستقرار، فإنّه تعالى كان ولا مكان ولا عرش ولا زمان، فإذا خلق الخلق لا يحتاج إلى مكان. اهـ.

وفي ص/ ١٠١ ما نصّه:

وقربه تعالى ليس قرب مسافة ولا مساحة، لأنّه يتعالى عن الحدود والأقطار والنهاية. اهـ.

الشيخ حسين الجسر
(توفي سنة ١٣٢٧هـ)

والد الشيخ محمّد الجسر الذي تولّى رئاسة مجلس النوّاب اللبناني وجدّ الشيخ نديم الجسر الذي تولّى منصب الإفتاء في طرابلس، وُلد في طرابلس وتلقّى فيها علومه الأولّيّة عن عدة شيوخ أبرزهم الشيخ أحمد عبد الجليل والشيخ عبد القادر والشيخ عبد الرزّاق الرافعيين.

سافر إلى مصر وجاور بالأزهر الشريف مدة خمس سنوات انكبّ خلالها على تحصيل العلم، ثمّ عاد إلى بلده طرابلس وتولّى التدريس في الجامع المنصوري الكبير وفي جامع طينال.

وعليه تخرّج نخبة من علماء طرابلس أمثال الشيخ كامل الميقاتي أمين الفتوى، والشيخ عبد المجيد المغربي أمين فتوى طرابلس، والشيخ وهيب البارودي والشيخ عبد الكريم عويضة.

له عدة تآليف من أهمّها (الرسالة الحميدية في حقّيّة الشريعة المحمّديّة) ردّ فيها افتراءات المستشرقين على الشريعة الإسلامية.

ظهرت عنايته بإرشاد أبناء مدينته إلى علم التوحيد في قصيدته التي وضعها لتعليم الأطفال محاسن الأخلاق وحثّ فيها على تعلّم علم العقيدة الحقّة واعتبره من أوائل ما يُلقّن للأطفال فقال في رسالته (هديّة الألباب في جواهر الآداب) ص/ ٢ ما نصّه:

فأوّل الكمال للأولاد معرفة المولى العظيم الهادي
وصحّة الإيمان والإقرار بكلّ ما صحّ عن المختار
ثمّ أداء واجب العبادة فإنّها علامة السعادة
اهـ.

ولمّا انتشرت بعض الأفكار الهدّامة والعقائد الزائغة سارع الشيخ حسين إلى وضع كتاب في بيان عقيدة أهل السنّة والجماعة وردّ تلك الشبه حفاظًا على عقيدة أبناء المسلمين من الزيغ والضلال وأسماه (الحصون الحميدية للدفاع عن العقيدة الإسلامية).

ذكر في مقدّمته أنه نشأت شبه لم تكن معهودة في غابر الأعوام وصار كلّ عاقل يخشى على إيمان الضعفاء من غوائل هذه الشبه الجديدة وعلى عقائد شبّان الأمّة الزيغ والوقوع في الضلالات، فتجدّد الاحتياج إلى استئناف الردود السديدة وتأليف كتب في حفظ الإيمان مفيدة.

وقد نبّه في كتابه هذا على تنزيه الله عن المكان والجهة فقال رحمه الله في ص/ ١٩ ما نصّه:

يجب لله تعالى المخالفة للحوادث ويستحيل عليه المماثلة للحوادث بأن يكون تعالى مشابهًا لهذه الموجودات الحادثة في خاصّة من خواصّها... وذلك كالجوهرية والجسمية والعرَضيّة والتحيّز والتركيب والتجزّؤ والتولّد عن الغير وولادة الغير

والاتصال والانفصال والانتقال من حيّز إلى حيّز. اهـ.

وفي ص/ ٢٠ ما نصّه:

يجب لله تعالى قيامه بنفسه ويستحيل عليه قيامه بغيره، بمعنى احتياجه إلى مكان يقوم فيه أو محلّ يحلّ فيه، أو مخصّص يخصّصه، أو موجِد يوجده.

والدليل على ذلك أنّه قد ثبت في دليل المخالفة للحوادث أنّه تعالى ليس جوهرًا ولا جسمًا، فلا يحتاج إلى مكان يقوم فيه، لأنّ الاحتياج إلى المكان من خواصّ الجواهر والأجسام. وثبت هناك أنّه تعالى ليس عرضًا فلا يحتاج إلى محل يحلّ فيه ويقوم به كما تحتاج الأعراض كالألوان والطعوم. اهـ.

وفي ص/ ٤٠ يقول:

فاستواؤه تعالى على العرش هو صفة من صفاته تعالى اللائقة به ليس كاستواء الحادث المستلزم للجسميّة والجهة. اهـ.

الشيخ عبد القادر الأدهمي
(توفّي سنة ١٣٢٨ هـ)

وُلد بطرابلس وتلقى فيها علومه على الشيخ أبي المحاسن القاوقجي والشيخ محمود نشابة والشيخ عبد الرزّاق الرافعي.

رحل إلى المدينة المنوّرة وأقام فيها مجاوراً، ثمّ توجّهت إليه من قِبَل السلطان عبد الحميد وظيفة الخدمة في الحجرة الشريفة.

وضع عدّة رسائل في أنواع من العلوم منها رسالة (وسيلة النجاة والإسعاد في معرفة ما يجب من التوحيد والاعتقاد).

قال في مقدّمتها: هذه رسالة وجيزة غزيرة الفضائل فيما يجب اعتقاده في التوحيد على كلّ مكلّف من العبيد.

وفي ص/ ٤ يقول ما نصّه: وهو تعالى لا ابتداء لوجوده ولا انتهاء له، ولا يشبه شيئًا من الحوادث، ولا يشبهه شيء منها، ولا يحتاج إلى مكان ومحل، ولا يغيّره زمان، ولا ثاني له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، قائم بنفسه، مستغنٍ عن جميع خلقه، قادر مريد يفعل ما يشاء، أبدع خلق العوالم وسائر الأشياء، ويعلم الواجبات والمستحيلات والجائزات، ويرى كلّ شيء ويسمعه، لا يشغله شأن عن شأن. اهـ.

الشيخ عبد المجيد المغربي
(توفي سنة ١٣٥٢هـ)

ينتمي إلى عائلة تسلسل منها القضاة والمفتون والعلماء الأعلام تلقى علومه من نخبة من علماء طرابلس كالشيخ أبي المحاسن القاوقجي والشيخ حسين الجسر وغيرهما. اشتغل بالتدريس في مدارس طرابلس وفي الجامع المنصوري الكبير.

تولى منصب أمين الفتوى في طرابلس، حتى أقيل في عهد الانتداب الفرنسي بسبب مواقفه السياسية والوطنية. شغله أمر إصلاح عقائد أبناء المسلمين وتطهيرها من شبه الملحدين.

قال في كتابه (المنهاج في المعراج) وقد نشر حديثًا تحت عنوان (رسالة علمية في الإسراء والمعراج) ص/ ٢٦:

وكم ذا وجدتني وأنا في ذاك الجمع يرجف قلبي رجفانًا مزعجًا حين يستمع المستمعون من تالي القصّة قوله حكاية لقول موسى عليه السلام في مسئلة تخفيف أعداد الصلوات ارجع إلى ربّك فاسأله التخفيف فيرجع ثم يعود إلى موسى بالحط خمسًا فخمسًا من ذاك العدد، مما قد يوهم المكان والجهة في حقه، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا. اهـ.

لذلك وضع عدّة تآليف في بيان عقيدة أهل السنّة والجماعة منها :

- علم العقائد وضعه بتكليف رسمي من المشيخة الإسلامية في اسطنبول .
- حسن البيان في واجبات الإنسان كتبه بأمر من السلطان عبد الحميد .
- اللآلئ الثمان في شرح رسالة شيخه أبي المحاسن القاوقجي التي سمّاها كفاية الصبيان فيما يجب من عقائد الإيمان .
- نيل الأماني على هداية الدجاني في علم التوحيد .
- شرح الرسالة السنوسية في العقائد .

قال في رسالته (المنهاج في المعراج) ص/ ٢٤ ما نصّه :

ولا فرق بين جوف حوت يونس وطور موسى ومستمى [1]

(١) مراد المؤلّف ما ورد في قصّة المعراج، أنّ النّبيّ ﷺ، بعد انفراده عن جبريل بعد سدرة المنتهى، وصل إلى مستوًى، أي مكان يسمع فيه صريف الأقلام التي تنسخ بها الملائكة في صحفها من اللوح المحفوظ .
فبيّن المؤلّف رحمه الله أنّ اعتقاد البعض أنّ الرسول وصل إلى مكان هو مركز لله تعالى، هو ضلال مبين لأنّ الله موجودٌ بلا مكان، وأنّه بوصوله ﷺ إلى هذا المكان لم يكن بأقرب إلى الله من يونس وهو في بطن الحوت في قعر البحر، وأنّهما بالنسبة إلى القرب من الله سبحانه على حدّ سواء ولو كان عزّ وجلّ مقيّدًا بالمكان أو الزمان لكان النبي أقرب إليه فثبت بهذا نفي الجهة والاستقرار في المكان عن الله عزّ وجلّ .

محمّد عليهم السلام بالنسبة إليه تعالى، حيث لا يحويه مكان ولا تحصره جهة، لا فوق ولا تحت، كان الله تعالى في أزليّته ولم يكن شيء من الكائنات والأمكنة والجهات على الإطلاق . اهـ .

وقال في كتابه (الكوكب الشرقي في ردّ نظرية لابلاس ورفقائه) ص/ ٥٥ ما نصّه :

قام البرهان القاطع على أنّ الله تعالى واجب الوجود فهو القديم بذاته وصفاته، وعلى أنّ كلّ ما سواه حادث وُجد بعد العدم، فكان الله ولم يكن شيء غيره . اهـ .

ثمّ قال ص/ ٥٧ ما نصّه :

وليُعلم هٰهنا أنّ الله تعالى صانع الكائنات ومُحدثها يجب عقلاً أنْ لا يكون مماثلاً لشيء منها من كل وجه، ولا شيء من هذه الكائنات إلا ويحصره المكان وتحدّه الجهة، وكل مكان محدود، وكلّ محدود ومحصور حادث، والله عزّ وجلّ قديم فلا يجوز عقلاً أنْ يكون في مكان أو تحده جهة . فهذه المنطقة الواسعة العظيمة المبتدأة بالعرش إلى السماء الدنيا كون من الأكوان المخلوقة، ومكان من الأمكنة الحادثة مقرّ لمخلوق لا لخالق موجدها، وقد كان في أزليته ولم يكن شيء منها . اهـ .

الشيخ عبد الفتّاح الزعبي
(توفّي سنة ١٣٥٤هـ)

من أكابر مشايخ السادة الزعبيّة في طرابلس.

تولّى الخطابة والإمامة والتدريس في الجامع المنصوري الكبير ثم عُيّن نقيبًا للسادة الأشراف، ومن بعده تولّى خطابة الجامع المنصوري ولده الشيخ عليّ ثمّ حفيده الشيخ معتصم بالله الزعبي.

جُمعت خطَبه التي كان يُلقيها من على منبر المسجد المنصوري وغيره في كتاب سمي (المواعظ الحميدية في الخطب الجُمعية).

يقول في ص/ ٨٤ ما نصّه:

الحمد لله المقدّس في ذاته عن المدارك العقلية، المنزه في صفاته عن النقائص البشرية. اهـ.

وفي ص/ ٨٥: وتفكَّروا في ءالائه ولا تتفكّروا في ذاته العلي، واعلموا أن خطرات الأفكار في ذلك وهمية، وكيف يحيط العقل بمن تقدّس عن الكمّية والكيفية والأينية، فنزّهوا ربّكم وقدّسوه عن الخواطر الفكرية. ا. هـ.

وفي ص/ ٨٦ يقول:

كلّ ذلك يدل على وجود صانع منزّه عن الكيفية والمثلية، ومقدّس عن خطرات الأوهام ومزاعم الحلولية. اهـ.

وفي ص/ ٩٦ تحدّث عن معراج النبيّ ﷺ إلى السماء الذي ليس المقصود به وصول الرسول ﷺ إلى مكان ينتهي وجود الله تعالى إليه ويكفر من اعتقد ذلك، إنما القصد من المعراج هو تشريف الرسول ﷺ باطلاعه على عجائب في العالم العلوي، وتعظيم مكانته ورؤيته للذات المقدّس بفؤاده من غير أن يكون الذات في مكان.

فقال: مع شهودٍ منزهٍ عن الكيفية وقربٍ مقدّس عن المكان والأينية، إذ الحقّ لم يفتقر إلى شيء فيتخذَ له تعالى محلاً، ولكن دعاه الحقّ تعالى إلى ذلك المكان ليريَه من ءاياته عجائب بدائع الإمكان. اهـ.

الشيخ محمّد بن إبراهيم الحسيني
(توفّي سنة ١٣٦٢هـ)

تلقى علومه الأولية في بعض مدارس طرابلس ثم سافر إلى الأزهر وأتمّ دراسته هناك ثمّ عاد إلى طرابلس واشتغل بالتدريس وتولّى وظيفة ختم البخاري في جامع طينال.

تلقى علومه من مفتي طرابلس الشيخ عبد الغني الرافعي والشيخ محمود منقارة والشيخ حسين الجسر.

ومن أشهر تلامذته الشيخ بشير بن عبد الغني جوهرة والشيخ سعيد طنبوزة الحسيني والشيخ جميل عدرة.

وضع عدة تآليف منها تفسيره للقرءان الكريم وقد طُبع منه الجزء الأول، يقول في تفسيره هذا ص/ ٦٢ ما نصّه:

سبحانه ما أعظم سلطانه، لا تلاحظه العيون بأنظارها، ولا تطالعه العقول بأفكارها. اهـ.

وفي ص/ ١٠١ يقول في تفسير قوله تعالى **﴿وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جَهْرَةً فأخذتكم الصاعقةُ وأنتم تنظرون﴾** ما نصّه:

ظنّوا أنه سبحانه وتعالى مما يشبه الأجسام ويتعلق به الرؤية تعلّقها بها - أي الأجسام - على طريق المقابلة في الجهات والأحياز

ولا ريب في استحالته، وإنما الممكن في شأنه تعالى الرؤية المنزّهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الآخرة. اهـ.

وفي ص/ ٢٢٧ يقول: قال عليه الصلاة والسلام: «**ءاية الكرسي سيّدة ءاي القرءان**»، لما ترى من انطوائها على أمّهات المسائل الإلٰهية المتعلّقة بالذات العلي والصفات الجليّة.

فإنّها ناطقة بأنّه تعالى واجب لذاته موجد لغيره، لما أنّ القيّوم القائم بذاته المقيم لغيره منزّه عن التحيّز والحلول، مبرأ عن التغيّر والفتور، لا مناسبة بينه وبين الأشباح ولا يعتريه ما يعتري النفوس والأرواح، متعال عمّا تناله الأوهام عظيم لا تحدق به الأفهام. اهـ.

الشيخ مصطفى وهيب بن إبراهيم البارودي
(توفّي سنة ١٣٧٢هـ)

تولّى الإمامة والتدريس في المدرسة القرطاوية زهاء أربعين عامًا، تلقى علومه من الشيخ حسين الجسر والشيخ محمد الحسيني والشيخ محمود نشابة وغيرهم كثير. وعليه تخرّج ابنه الشيخ نصوح البارودي.

وحين شغر منصب إفتاء الجمهورية اللبنانية بوفاة الشيخ محمد توفيق خالد أجمع رأي علماء طرابلس على ترشيحه لهذا المنصب، إلا أنّه رفضه لزهده وتفرّغه للعبادة.

له عدة مؤلّفات منها:

- إعلام وبيان في كمال الإسلام والإيمان.
- واجب الاهتمام فيما وصّى به الإسلام.
- مشتبهات القرءان.

قال في كتابه (خلاصة البهجة في سيرة صادق اللهجة) ص/ ١٧ عند كلامه عن معراج النبيّ ﷺ ورؤيته ربّه بفؤاده:

وأثبت رؤية ربّه ليلتئذ جماهير الصحابة والعلماء من غير إدراك ولا إحاطة. اهـ.

وكذا ذكره في كتابه (الفوز الأبدي) ص/ ٤٥.

وقال في كتابه (الفوز الأبدي في الهدي المحمدي) ص/ ٧٣ ما

نصّه: إنّ الله تعالى منزّه الذات عن الاختصاص بالأمكنة والجهات، وهذا أصل من أصول العقائد الإيمانية لأنّه لو احتاج إلى المكان لكان حادثًا وقد قام الدليل على وجوب القِدَم ـ له ـ واستحالة العدم ـ عليه ـ، ولأنّ هذه الجهات هو الذي خلقها وأحدثها. اهـ. ثمّ قال:

وإذ ثبت استحالة كونه جوهرًا أو عرَضًا فقد استحال كونه مختصًا بالجهة، ولأنّه لو كان فوق العالم لكان محاذيًا له وكلّ محاذٍ لجسم فإمّا أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر، وكلّ ذلك تقدير محوج بالضرورة إلى مقدّر ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبّر، فأمّا رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء. اهـ. ثم قال:

استوى على العرش استواء قهر واستيلاء كما قال الشاعر:

استوى بِشْرٌ على العراق   من غير سيف ودم مهراق

لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال وما يؤدي إلى المحال فهو محال. وبهذا يفسَّر أيضًا قوله تعالى **﴿ثمّ استوى إلى السماء﴾** أي بالقهر والاستيلاء. اهـ.

وقال في ص٩٢ ما نصّه: فإذا جاز تعلّق العلم به تعالى وليس في جهة، جاز تعلّق الرؤية وليس بجهة، وكما يجوز أن يَرى اللهُ تعالى الخلقَ وليس في مقابلتهم جاز أنْ يُرى كذلك. اهـ.

الشيخ رامز بن محمود الملك

(توفي سنة ١٤٠٨هـ)

اشتغل بالعلم وتحصيله حتى كان يُعدّ في وقته من أعلم علماء طرابلس وكان من أبرز مشايخه الشيخ محي الدين الخطيب والشيخ وهيب البارودي والشيخ عبد المجيد المغربي والشيخ محمود نشابة والشيخ عبد الكريم عويضة .

انتسب إلى كلية أصول الدين بالأزهر ثم عاد إلى طرابلس مدرّسًا في بعض مساجدها وجامعها الكبير .

تحوّل إلى أمانة فتوى طرابلس ومن ثم إلى إفتاء طرابلس بعد وفاة الشيخ نديم الجسر .

له عدّة رسائل في الوقف ومصطلح الحديث ، وتفسير الجزء التاسع من القرءان الكريم .

في أيامه قام البعض بنشر عقائد فاسدة كنحو القول بفناء النار وعدم تكفير سابّ الله أو الرسول ﷺ وإطلاق بعض العبارات التي فيها نسبة التشبيه لله تعالى . فقام بعض الغيّورين من أبناء طرابلس بعمل رسائل يردّ فيها هذه التحريفات وينصر عقيدة أهل السنّة والجماعة في أن النار باقية لا تفنى ولا يفنى أهلها كما ورد في القرءان الكريم ، والتنبيه على أنّ سابّ الله أو الرسول ﷺ كافر ولو كان في حال الغضب ، وذكر عقيدة السلف والخلف في تنزيه

الله عن المشابهة للخلق .

وقدمت هذه الرسائل إلى الشيخ رامز الملك الذي كان مفتيًا في ذلك الوقت لتوزّع كمنشورات ، فعمل على نشرها بين أبناء مدينته وهي تحمل توقيعه وموافقته ومنها إمساكية صدرت في شهر رمضان سنة ١٤٠٣هـ وهذا نصّها :

إنّ تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين أفضل عمل يقوم به العبد وقد اعتنى به العلماء سلفًا وخلفًا رحمهم الله .

وقد جاء في ذلك عن الإمام علي كرّم الله وجهه أنه قال : كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان . أي أنه تعالى موجود بلا مكان لأنه هو خالق المكان فلا يحتاج إليه .

قال الإمام أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه : غاية المعرفة بالله الإيقان بوجوده تعالى بلا كيف ولا مكان .

وقال الإمام علي أيضًا : إن الله خلق العرش إظهارًا لقدرته ولم يتخذه مكانًا لذاته .

أي أن الله تعالى خلق العرش الذي هو أكبر المخلوقات حجمًا وهو سقف الجنّة ، وهو غنيّ عنه فلا يحتاج إليه ولا إلى السماء التي هي مسكن للملائكة .

فلذلك لا يجوز تفسير ءاية **﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾** بمعنى الجلوس ، بل كما قال أبو حنيفة والغزالي وغيرهما ، الله

مستوٍ على العرش استواءً منزّهًا عن المماسّة والاستقرار والتمكّن والحلول والانتقال لا يحمله العرش، بل العرش وحملَتُه محمولون بلطف قدرته تعالى.

فائدة مهمّة: يجب على من شبّه الله بخلقه أن يقلع عن هذا الكفر وينطق بالشهادتين وهما: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أنّ محمّدًا رسول الله بنيّة الدخول في الإسلام، كالذي يسبُّ الله أو نبيًا أو ملكًا من الملائكة أو يستهزىء بهم، أو يعتقد فناء جهنّم، وذلك كفر بإجماع الأئمّة. اهـ.

۞۞۞۞۞

نحمد الله أن وفَّقنا إلى جمع ثمانية تراجم لأعلام عُرفوا في تاريخ طرابلس الشام على مدى مائة سنة، وتضمّنت هذه التراجم نصوصًا في تنزيه الله عن المكان والجهة.

وقد قمنا بذلك للدلالة على أنّ هذه العقيدة هي عقيدة أهل طرابلس التي نشأوا عليها وتوارثوها من علمائهم خلفًا عن سلف طيلة مائة سنة وما قبل ذلك، سمعوها منهم على منابر مساجد المدينة وفي مدارسها ودرجوا على تعليمها أبنائهم في كتاتيبها.

ونحن ندعو أهل طرابلس إلى التمسّك بهذه العقيدة، عقيدة أهل السنّة والجماعة، عقيدة مئات الملايين من المسلمين اليوم.